١- العودة الأبدية بين هيراقليطس ونيتشه

بوسيف ليلى (*)

يقال أن نيتشه (1844-1900.neitszche) كان أول من أدمج الفلسفة بالحكمة(L'aphorisme) وبالشعر(la poésie)، وهو الإدماج الذي أعطى للفلسفة لديه، ولدى العدديين ممن جاءوا بعده، مفهوما جديدا للفكر وللمفكر الفلسفي على حد سواء.

لقد استبدل "نيتشه" من خلال مثل ذلك الإدماج، وكما يقول مثال المعرفة(l'ideal de la connaissance)، واكتشاف الحقيقة(la découverte de la vérite) بالتأويل (l'interpretation)، الذي به يتحدد المعنى (أي معنى)، بالتقييم (L'evaluation)، الذي يحدد القيمة التسلسلية لذلك المعنى، ويشمل كل أجزاءه دون إضعاف أو إلغاء لتعدديتها تلك.

ولأن الحكمة في فن التأويل وموضوعه في نفس الوقت، تماما كما أن الشعر هو فن التقييم وموضوعه كذلك، وفي الوقت نفسه فإن فيلسوف المستقبل عند "نيتشه" فنان وطبيب، حكيم ومشروع في ذات الوقت(١).

إن هذه الصورة التي يعطيها "نيتشه" للفلسفة وللفيلسوف قديمة وجديدة في نفس الوقت .فهي قديمة لأنها قد وجدت منذ الفلاسفة الذين سبقوا "سقراط "(-469 Socrate -399ق.م)، والذين... كانوا أطباء وفنانين(٢) ومفسرين ومقيمين للعالم،

(*) الجامعة اللبنانية، بيروت.

(1) Gille Deleuze : Nietszche, Col. Philosophes, Paris, Gallimard, 1968, pp, 13-14.

(2) Cf : Nietszche : par delà le bien et le mal. trad. G.Bianquis. Paris. 1960.

أولئك الفلاسفة الذين وصفهم "نيتشه " "بالفلاسفة الحقيقيين".

وهي جديدة ...لأن فيلسوف المستقبل من ناحية أخرى رجل مكتشف أولا. لتلك العوالم الفكرية الفلسفية القديمة، ولما فيها من قمم ومن كهوف، ولأنه ومن ناحية أخرى وفي الوقت نفسه رجل مبدع، ومستشف للمستقبل ...انطلاقا، لا من ربطه لذلك المستقبل بالماضي، بل ومن ربطه كذلك وقبل كل شئ للفكر بالحياة، ربطا يجعل الحياة تنشط الفكر بقدرما يجعل هذا الأخير يؤكد بدوره استمرارية تلك الحياة .

إن ذلك يعني أنه يجب علينا أن ننظر إلى الفلسفة مثلما فعل أولئك الفلاسفة اليونانيون القدماء، كقوة كان عليها لكي تستمر وتمارس فاعليتها أن تتخفى وتتقنع بمختلف الأقنعة- وأن تقلد المادة بقدر ما كان على أصحابها أن يلبسوا لبوس الساحر، والراهب والطبيب بل والمجنون.

لكل ذلك ضاع سر الفلسفة مثلا في الربط بين الفكر بالحياة منذ البداية الأولى لها، ولكل ذلك أيضا فان فيلسوف المستقبل مطالب بإعادة اكتشاف وكشف مثل ذلك السر.

وبذلك ما لم يحدث بعد، فيما يرى "نيتشه"، حيث لا تزال ...الفلسفة لا تعمل إلا انطلاقا من الانقلاب على ذاتها وعلى مهمتها تلك، بعيدا عن تلك الوحدة الضرورية بين الفكر وبين الحياة، وهي الوحدة التي لا تزال تستبدلها والى اليوم، بالاستمرار في إصدار أحكامها الجزافية على الحياة وبمقابلتها وبمناقضتها لها لقيم تدعى أنها عالية وسامية.

بذلك تحول الفكر من ظاهرة نقدية فاعلة إلى ظاهرة سلبية، وفقدت الحياة حيويتها ونشاطها، متحولة بذلك إلى أشكال مرضية ...تتماشى وتلك القيم السامية .

وبذلك أيضا انتصرت الرجعية على الحياة العملية والنفي على الإيجاب .

وبذلك أخيرا انقلبت تلك الفلسفة المنشودة إلى ميتافيزيقا (سقراط)، وانقلب

الفيلسوف من حكيم وطبيب، إلى جدلي والى معلم عمومي (أفلاطون) [١].(Platon- ٣٤٧-٤٢٧ق.م)

ولأن الفلسفة الحقيقية عند "نيتشه" هي تلك التي تعرف كيف تربط إيجابيا وحركيا بين الحياة وبين الفكر، فان أبرز النتائج التي تولدت عن مثل هده الردة غير الطبيعية التي تعرفها الفلسفة والفلاسفة، هي انتصار القوى العدمية (le nihilisme) والرجعية والنافية لكل شئ، على الحساب إرادة القوة، التي نلاحظ أنها لا تعني عند "نيتشه" إرادة الأقوياء للتملك المادي أو لسيطرة الضعفاء، بل مقاومة الإرادة الإيجابية لنزوع الإرادة السلبية إلى السيطرة على هذه الإرادة الإيجابية، مدفوعة بذلك الانقلاب غير الطبيعي، لكل من الحياة ومن الفكر، والذي انتهى بتفوق قوة النفي(le non)على قوة الإثبات (le Oui).

وأمام مثل هده الوضعية فان استعادة سر الفلسفة، إنما يكمن فيما يرى "نيتشه"، في القيام بانقلاب ثوري وعقلي وعملي مضاد وشامل على مستوى القيم والفلسفة الاجتماعية والسياسية لتغيير تلك الأوضاع الفكرية والفنية والاجتماعية والسياسية غير الطبيعية تغييرا شاملا، وصولا إلى الإبداع والتجديد الذي يجب أن تزول أمامه كل العوائق، لتلتئم بدلك من جديد مسيرة الفكر والحياة وصيرورة الإنسان والوجود .

"فالصيرورة" و"الحياة" و"الطبيعة "و"المجتمع" ادن شئ واحد عند "نيتشه"، لأنها تعبر كلها عن مواقف ثلاثة من الوجود الحقيقي الذي لا وجود لشيء آخر غيره، لأنه وجودنا الذي نضطرب ونحيا فيه، والذي هو نحن، ونحن هو.

لكل ذلك أعلن نيتشه من أسلافه الأوائل من الفلاسفة ومن المفكرين ليسوا "سقراط"، "أفلاطون" أو "أرسطو" (aristote-٣٨٤-٣٢٢.ق.م) أو"ديكارت"

(1) CF : Nietszeche : La volanté de puissance, trad. G. Bianquis, 1960.

(Descartes-١٥٩٦م) أو "هيغـــل" (Hegel، ١٨٣١-١٧٧٠)، بـــل"هيرقلـــيطس" وأمبـــادوقليس "(Ampédocle) و"ســـبينوزا" (١٦٣٢-١٦٧٧Spinoza) و"غوتـــه" (1749-1832.Goethe Johann Wolfagang) أولئك الفلاسفة الدين أعتبرهم دون غيرهم بالفلاسفة الحقيقيين.

ذلك أن ما يؤكد عظمة هؤلاء الفلاسفة الأخيرين، خاصة "هيراقليطس" (-475 450.héraclite ق.م، هو أنهم رأوا، كما يضيف "نيتشه"، في العالم مطابقا تماما للقانون، أي العدل (Dikia) الذي يجب أن يكون تطبيقه وإنجازه بكيفية مطلقة وأن يتحول بالتالي كل ما يخالفه إلى مجرد وهم (Illusion).

بذلك فإن عظمة وشجاعة هيراقليطس إنما تكمن أساسا، وكما يؤكد "نيتشه" في رؤيته للتنازع وللتضاد المأسوي بين عناصر الكون المختلفة، بمثابة لعبة عظيمة، وهي الرؤية التي جعلته إلى تفاؤلية الفنان الذي يرى في كل شئ في الوجود مجرد لعبة ظاهرية(١).

بمعنى آخر لقد أراد "هيراقليطس" أن يؤكد أن الوجود وهم، وأن العالم الظاهر وحده الموجود وأنه لا داعي بالتالي لإضافة عالم "حقيقي" إليه، كما فعل "أفلاطون" وغيره من الفلاسفة المثاليين.

وحين ينكر "هيرقليطس" مثل هذا الوجود الوهمي، فإنه يؤكد بذلك، أن العالم الوحيد الذي يحتفظ به هو ذلك العالم الذي تحميه قوانين أبدية، غير مكتوبة، عالم متحرك، مدا وجزرا، وفقا لقانون طلب لا استمرارية فيه لأي شئ(٢).

وهكذا فان "هيرقليطس" الذي لم ير أي شئ حقيقي في الوجود، سوى الصيرورة، قد حول الكون والفساد والكثرة (le devenir et la corruption)من مظاهر عقابية،

---

(1) G. Deleuze : Nietszche, col philosophie, PUF, 1968, p, 41.

(2) CF.Nietszche: la volanté de puissance, III, P: 111.

كما هو الحال عند "أنكسيمندريس" (Anaximandre-٥٤٦-٦١٠ق.م)، إلى مظهر للواحد بقدر ما اجتث كليا فكرة الثبات والاستمرار بالنسبة لأي شئ، ماعدا تلك الصيرورة .

تلك هي عظمة فكرة "هيراقليطس" حول الصيرورة، فيما يرى "نيتشه" وهي الفكرة التي حولها الفيلسوف اليوناني إلى انفعال سام والى خوف سعيد(١).

بذلك كان "هيراقليطس" بالنسبة لـ" نيتشه"، الفيلسوف الوحيد الذي أكد براءة الصيرورة، (l'innocence du devenir)، بقدر ما أكد أن "المركز" متواجد في كل مكان، وأنه لا وجود لأعلا أو لأدنى، بل لقوى متصارعة أبدا عبر تلك الصيرورة، يعدم فيها القوي والضعيف، حفاظا على دفق الفكر والحياة وعلى حيويتها، وتنتصر فيها. ومن خلال إرادة القوة (la volonté de puissance) قوة الإثبات على قوة النفي، ليأخذ الوجود دلك الطابع التفاؤلي، ولينـدفع نحو التجديد الأبدي بعيدا عن الخير والشر(٢).

ولأن قوة الإثبات هي أعلى درجة إرادة القوة، ولأن "اللا " التي يواجه بها زرادشت (Zarathoustra)، لسان حال هذه الفلسفة الجديدة، "لا" العدمية، فان التحول الكبير يتحقق من خلال تلك الصيرورة التي لا تلتهم كل شئ . إلا لكي تجعل الوجود يتمثل تلك العدمية، تماما كما يتمثل الواحد الكثرة، وصولا إلى هزيمة تلك العدمية القائمة على قيم النفي بالعدمية (الجديدة)

(vaincre le nihilisme par le nihilisme) القائمة على الإثبات لكل القيم الإيجابية .

---

(1) G.Deleuze, Nietszeche, PP, 17-22.

(2) Nietszeche, Ainsi parlait Zarathoustra, trad.Thomas, Gallimard, 1947, P , 167

- Nietszeche : la naissance de la philosophie grecque à l'époque de la trajedie, trad,Génevieve, Bianquis, Paris. Alcon, PP 50-51) .

بذلك يتحول العمل الفلسفي إلى عمل سعيد ويتفوق "دنيوزوس" (Dionysos) "أبولون" (Apolon) على "سقراط" "ولوقريطوس "(Lucréce)، أي الحياة ودفقها على الأحكام المعيارية.

وفي مثل هده الصيرورة الدورية تظهر العودة الأبدية التي تحكم الوجود من خلال صيرورة مختلف عناصره، كحقيقة وحيدة لذلك الوجود المتولد عنها باستمرار، مثل تولد الواحد عن الكثرة، والضرورة عن الصدفة.

وآية ذلك أننا إذا نظرنا إلى الوجود من ناحية جوهره وطبيعته، فإننا نجده صيرورة مستمرة، أي تغييرا دائما وحركة دائمة، وتطورا لا ينتهي، وليس ثباتا كما ذهب الفلاسفة الذين تلوا "سقراط". فالثبات عند كل من "هيراقليطس" و"نيتشه"وغيرهم- وهم.

غير أن العقل لا يستطيع أن يدرك هذه الصيرورة التي ليس لها من غاية سوى ذاتها على حقيقتها وكما هي، وإنما يقدر على إدراكها حين يحيلها إلى سكون وثبات.

فكما أن خلايا الجسم لا تستطيع أن تمتص الطعام إلا إذا تحول إلى شيء من جنسها مماثل لها، كذلك العقل لا بد له أن يحول الوجود الذي هو حركة مستمرة وتغيير دائم، إلى شئ ثابت، كي يستطيع أن يعرفه، ولهذا فان المعرفة والوجود الحقيقي يتنافيان، وهو يظهر لها في صورة المتمرد عليها، المتناقض معها.

والعقل حين يتصور الوجود الحقيقي على هدا النحو، إنما يخدم الحياة .فالحياة لكي تستطيع أن تحيا، لابد لها من تصور الوجود شيئا محدودا معينا ثابتا، وبغير هذا لا تتصور الحياة، وإلا فان الحياة إذا ما تصورت على شكل تغير دائم لذهبت وانقضت. فنظرية الوجود بوصفه صيرورة نظرية "صحيحة، ولكنها مميتة"على حد تعبير "نيتشه".

الحياة في نظر "نيتشه" إذن عبارة عن إرادة قوة، أي إرادة استيلاء وتملك، وتمثل لا للإنسان أو للأشياء الخارجية، بل لقوى الإثبات، وهو التملك الذي لا يمكن أن يتم إذا

كانت الأشياء في تغير مستمر. فلا بد أن تتصور تلك الأشياء إذن على النحو ثابت كي يمكن تمثلها، ولهذا يقول "نيتشه". "إن طبع الصيرورة بطابع الوجود الثابت أعلى نوع من الإرادة"(١).

أما إذا نظرنا إلى الوجود من الناحية الحيوية، فنحن نسميه حياة. والحياة ليست سوى مجموعة من القوى المرتبطة بعضها ببعض عن طريق عملية تغذية مشتركة ...ويتبع هذه العملية كوسيلة لتحققها كل ما يسمى باسم الاحساسات والتصورات والأفكار، أعني أولا مقاومة كل القوى الأخرى (غير قواها هي)، وثانيا إعداد هذه القوى تبعا لصورة الحياة وسياقها، وثالثا تقوم الأشياء من أجل تمثلها أو طرحها والقضاء عليها. وأحيانا يسمى "نيتشه" حياة الإنسان باسم "الجسم" ولا يقصد به الجسم المعروف في التشريح فهذا جثة وليس جسما بالمعنى المفهوم عند "نيتشه" وإنما الجسم كل الوظائف الحيوية اللاشعورية، أو هذه الحياة في كل مظاهر القوية الحية بكل معاني الحياة.

من أجل هذا نرى "نيتشه" يشد "بالجسم" ويعده أعظم من الروح بكثير. فالشعور أو الروح أو النفس بالنسبة إليه شئ فقير ضيق النطاق محصور، بل إن هذا الشيء ليس إلا أداة تقوم بخدمة "الجسم" :"إن الجسم الإنساني، الذي به يحيا وسيحيا كل الماضي القريب والبعيد، ماضي الأحوال العضوية، والدي يجري فيه سيل هائل يتخلله ويعلو عليه وينفد في جميع نواحيه:هدا الجسم (بهذا المعنى)فكرة آروع من فكرة الروح أو النفس القديمة ".

أما الموت في نظر "نيتشه" فانه جزء من الحياة :"حذار أن تقول أن الموت مضاد للحياة"، فهده الحياة هي كل شئ، وليس الموت إلا جزأ مكملا لها، أما الجزع "مما بعد الموت " فليس له ما يبرره. لأنه ليس بعد الموت شئ : "ما بعد الموت لا يعنينا بعد".

---

(١) عبد الرحمن بدوي: نيتشه، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥، ص ٢٣٧-٢٣٨.

والموت نوعان :"طبيعي " وهو هذه الظاهرة الطبيعية التي لا مفر منها ولا حيلة للمرء في دفعها، ثم موت "إرادي" وهو "الانتحار".

أما الموت الطبيعي فلا داعي مطلقا للجزع منه، لأن الحياة ليس معناها "إرادة الحياة " إلى غير نهاية و"عدم إمكان الموت ".وإنما معناها سيطرة الإنسان على الحياة من أجل الحياة، أي من أجل العلاء بالحياة والارتفاع بمستواها، فليس المطلوب إذا أن تحيا حياة طويلة، وإنما أن تحيا حياة حافلة خصبة زاخرة، ولابد بعد أن تأتي لحظة تشعر فيها بأن نضجك قد اكتمل، وأنك لا تستطيع أن تعلو أكثر مما علوت، فتشعر بحاجتك الشديدة إلى الموت، لأنه التاج الذي تتوج به كل حياتك .

وأعظم من هذا الموت الطبيعي وأروع، الموت الإرادي. فالموت الأول "موت دخل لإرادة المرء فيه"، وهو موت في وقت غير منسب، هو موت الجبناء .

فيجب على الإنسان -حبا في الحياة - أن يريد الموت على نحو آخر، أن يريده حرا، مدركا، لا صدفة فيه ولا مفاجأة[1]. وفي الموت الطبيعي يكون الجسم شبيها "بحارس السجن الحزين"، الغبي المريض غالبا، الذي يحدد النقطة التي لا بد لسجينه العزيز أن يموت فيها .إن الموت الطبيعي انتحار الطبيعة، أعني إفناء الكائنات العاقلة بواسطة غير العاقلة.

لذلك يدعوا "نيتشه" إلى الموت الإرادي أو الانتحار، فيقول على لسان زرادشت: "كثير من الناس يموتون في وقت متأخر جدا، وبعضهم يموتون في وقت مبكر جدا، ولا زال هذا القول : "مت في الوقت المناسب " سيبدو غريبا "مت في الوقت المناسب " هكذا يدعوك زرادشت .

لكن، إذا لم يكن بعد الموت شئ، لأن هذا الوجود هو وحده الوجود الحقيقي، فهل يفني المرء نهائيا إلى غير رجعة؟ وهل لن يأتي على هذا الوجود وقت يكون فيه قد

---

(١) عبد الرحمن بدوي: نيتشه، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥، ص ٢٤٤.

استنفد كل أنواع التراكيب والتفاعلات بين قواه المختلفة؟ أو سيظل الوجود يخلق أنواعا من الوجوه جديدة إلى غير نهاية؟وهل حياتنا التي حييناها لحظة من الزمان قد ذهبت وغاصت في الماضي، ولا سبيل إلى عودتها من جديد؟ ثم إن الوجود الحقيقي تطورا وصيرورة وحركة دائمة، ولكن الحياة لا يتسنى لها أن تقوم إلا إذا تصورت هذا الوجود على شكل وجود ثابت ساكن، لو نسبيا على أقل تقدير، فكيف توفق إذا بين الاثنين بين الوجود الحقيقي الذي هو صيرورة، وبين الوجود الذي تقول به المعرفة وتؤمن به الحياة، وهو وجود ساكن ثابت؟ وهل أصبحنا عاجزين على العجز عن أن نسترد الزمان الماضي، لو تعد لنا سيطرة عليه؟.

وخلاصة هذه الفكرة أن الصيرورة ليست مستمرة أو لا نهائية، بل أنها تصل في النهاية إلى فترة نهائية هي ما يسميه "نيتشه" بالسنة الكبرى(la grande année)، سنة جديدة لا تلبث بدورها أن تنتهي بفعل تلك الصيرورة لتبدأ سنة جديدة أخرى وهكذا دواليك.

إن ذلك يعني أن أزمة الوجود عند "نيتشه" مقسمة إلى دورات، كل دورة من هده الدورات تكرار تام للدورة السابقة عليها، وأنه لا اختلاف مطلقا بين الواحدة والأخرى .فكأن الوجود كله صورة واحدة تتكرر ظاهريا بلا انقطاع في الزمان اللانهائي :"كل شئ يغدو وكل شيء يعود، والى الأبد تدور عجلة الوجود، كل شئ يحيا من جديد، والى الأبد تسير سنة الوجود".

وهذا التكرار يتناول كل التفاصيل ويشمل كل الجزئيات : "فكل الأحوال التي يمكن هذا العالم أن يصل إليها، قد وصل هو إليها من قبل، لا مرة واحدة، بل مرات نهائية"

فهذه اللحظة التي أنا فيها وجدت من قبل عدة مرات، وستعود من جديد، وقد وزعت فيها كل القوى كما هي في هده اللحظة بالضبط، وهكذا الحال بالنسبة إلى اللحظة التي سبقت هده اللحظة، وتلك التي ستتلوها .أيها الإنسان، إن حياتك كالساعة

الرملية، ستعود من جديد وستذهب من جديد دائما أبدا -وكل وجود من هذه الوجودات لا يفصله عن الآخر إلا الدقيقة الكبرى من الزمان الضرورية لكي توجد من جديد كل الأحوال التي أوجدتك في دورة الكون. وحينئذ ستلقى من جديد كل ألم وكل سرور، كل صديق وكل عدو، كل أمال وكل خطأ، كل عود من الحشيش وكل شعاع من أشعة الشمس، وستجد نظام الأشياء كما هو عليه الآن.

وهذه الدورة التي أنت حبة فيها، ستتلألأ من جديد، وهناك في كل دورة من دورات الوجود الإنساني ساعة تقوم فيها عند الفرد الواحد أولا، ثم عند عدد كبير، ثم عند الجميع، أكبر فكرة وأقواها :فكرة العود الأبدي لكل الأشياء- وهذه الساعة في كل حالة هي بالنسبة إلى الإنسانية ساعة الظهيرة.

لقد جاءت هذه الفكرة لنيتشه لا عن تفكير طويل وبحث علمي سابق انتهى منه إلي القول بها، بل أتت اليه فجأة ودون إعداد سابق فاستولت على كل فكرة ورآها نورا ساطعا وهاجا يضئ الأشياء من جديد، ويعطي للحياة قيما جديدة أو بالأحرى يعطي للقيم التي وصل إليها من قبل صبغة زاهية قوية.

لكن "نيتشه" حاول بعد دلك أن يثبت هده الفكرة إثباتا علميا يقوم على نظريات في علم الطبيعة، فقال أن مجموع القوى الموجودة في الكون ثابت محدد، وهدا يعني أن عدد مواقع هده القوة وتغيراتها وتركيبها محدود بدوره، وان يكن هائلا.

ودلك لأن المسألة لا تتعدى ثلاثة فروض: فإما أن يكون هدا المجموع يزيد، واما أن يكون هدا المجموع ينقص، أو يكون هذا المجموع ثابتا.

فالفرض الأول غير صحيح، لأنه إذا كان مجموع القوى يتزايد، فمن أين تجيئه هده الزيادة، وليس هناك من وجود غير هدا الوجود؟ فلكي يكون هذا الفرض صحيحا كان علينا أن نقول بوجود معجزة دائمة، بها تحدث الزيادة، وهدا ما لا نستطيع مطلقا التسليم به مادمنا نبحث علميا، وإلا خرجنا من دائرة العلم الخالص إلى دائرة

الأساطير والخوارق. وليس الفرض الثاني بأقل تهافتا وبطلانا من الفرض الأول :لأنه إذا كان مجموع القوى يتناقص، فلا بد أن تكون قوى الكون كلها قد نفدت وفني الكون، لأنه مر قبل هذا الآن الذي نحن فيه مالا نهاية له من الزمان .

وفي هذه اللانهائية السابقة على اللحظة الحاضرة كانت القوى، إذا كانت تتناقص، تكون قد تبددت كلها، ومادامت القوى لم تتبدد كلها -فلازلنا نحيا في الوجود- فان مجموع القوى لا يتناقص، وعلى هدا فالقول بأن مجموع القوى الكونية يتناقص قول غير صحيح، وهو فرض يتناقض مع قانون لم يبق ادا بعد هدا إلا التسليم بأن مجموع القوى الكونية ثابت محدود، أي أنه متناه. ومادام متناهيا فان "مجموع الأحوال والتغيرات والتركيبات والتطورات التي تحدث في هده القوى، ولو أنه هائل ولا يمكن تقديره عمليا، فانه لابد أن يكون متناهيا هو أيضا ومحدودا".

ولما كان الزمان لا نهائيا غير محدود، فلا بد أن تأتي كلحظة من لحظاته-مهما كان من طول المدة السابقة عليها والتي مرت فيها الأحداث الكونية الممكنة كلها- فيها يعود تركيب سبق وجوده من قبل .

ولما كان قانون العلية(بالمعنى العلمي الخالص) :وهو تسلسل الحوادث وارتباط الظواهر الواحدة بالأخرى وتتابعها، يقضي بأن يجر هدا التركيب وراءه التراكيب المرتبطة به، وهذه بدورها تجر ما هي تابعة لها.

وهكذا فان مجموعة الظواهر والأحداث سيتكرر من جديد، بنفس النظام والطريقة والمقدار الذي وجد فيه في الدورة السابقة على هذه الدورة الثانية، وهكذا تستمر الحال وتأتي دائما دورات جديدة لانهائية، مادام الزمان غير متناه.

فالزمان اللانهائي إذا مكون من دورات ولكل دورة زمانها المحدود، وكل دورة مماثلة للدورة الأخرى تمام المماثلة .

فالإنسان هنا وفقا لهذه النظرية سيحيا من جديد نفس الحياة التي يحياها

الآن، وسيعاني ما يعانيه، وسيكون حظه تماما كحظه الآن، لهذا يقول "زرادشت" "سيأتي يوم فيه تعود من جديد سلسلة العلل التي أنا مشتبك فيها، وستخلقني من جديد ! وأنا نفسي سأكون بين علل العود الأبدي".

"سأعود مع هذه الشمس، وهذه الأرض، وهذا النسر، وهذه الحية، لا من أجل حياة جديدة، ولا من أجل حياة أحسن، ولا من أجل حياة متشابهة"(١).

"إنما سأعود دائما أبدا إلى نفس هذه الحياة بعينها، وأنا لا أتغير، لا في صغيرة ولا كبيرة، سأعود لكي أعلم الناس من جديد نظرية العود الأبدي". "ولكي أعلن من جديد ساعة الظهيرة الكبرى للأرض وللإنسانية، ولكي أبشر الناس ثانية بالإنسان الأعلا (Le surhomme)"(٢).

مما تقدم نبين أن العودة الأبدية عند "نيتشه" لا تعني وكما هو الحال عند "هيراقليطس"، العودة الدورية والمتكررة للكل، بل أنها عودة انتقائية ومزدوجة (un retour doublement sélectif) وهذا على مستوى الفكر... وعلى مستوى الوجود.

فعلى مستوى الفكر فأن تلك الازدواجية التي تميز العودة الأبدية عند "نيتشه" تتجلى من خلال مدها لنا بقانون لاستقلالية الإرادة المخلصة من كل نزعة أخلاقية كما تؤكد ذلك مختلف رغبات وفضائلي ومساوئ، والتي تفرض على قبولها، لا مرة واحدة بل مرات لا تنتهي والقبول ضمنا، وبالتالي بتلك العودة الأبدية(٣).

بذلك تتحول تلك النقائص خاصة، ومن خلال رغبتي في عودتها باستمرار، وذلك من خلال تمسكي بها، إلى قوة فاعلة

---

(1) Nietszche : Ainsi parlait Zarathoustra, II.

(2) Ibid, prologue, 3.

(3) Ibid, Le convalescent, P,240.

وعلى المستوى الوجود فإن تلك العودة الأبدية تتجلى في كونها ليست مجرد عودة انتقائية، بل أنها وجود انتقائي كذلك وفي الوقت نفسه.

بذلك كانت العودة الأبدية عند "نيتشه" عودة للإثبات، إثبات ما يجب أن يعود وفي مقدمته الفرح (La joie) (١). أما مختلف القوى النافعة والسلبية، فإنها تجد نفسها مطرودة بحركية هذه العودة الأبدية التي هي أشبه بحركة العجلة (La roue) التي تطرد بقوتها الكامنة كل سلب.

وبذلك أيضا لا تعود أي قوة سلبية إلى الوجود مرة ثانية، وتطرد منه بالتالي كل أشكال الحقد والوعي السيئ والعدمية والرجعية.

وبذلك أخيرا نفهم أن العودة الأبدية النتشاوية ليست دورية بالمعنى الهراقليطي، حيث يعود من خلالها كل شيء إلى ما كان عليه، وكما كان عليه (٢)، بل أنها عودة تكرارية، لكنها انتقائية ونافية، تكرار منفذ، ونفي محرر ومتجاوز، وصانع للإنسان الأعلا الذي تجاوز أباه "زرادشت"، لأنه خلاصة كل ما يمكن أن يثبت ويؤكد. ولأنه كذلك فإن أباه الحقيقي هو "ديونزوس" (Dionysos) (٣) رمز النشوة والفرح تماما كما أن الاله الحقيقي ليس اللوغوس (Logos) كما هو الحال عند "هيراقليطس"، بل الإنسان الأعلا (٤).

---

(1) Ibid, p46.

(2) Brun Jean : Héraclite ou la philosophie de l'éternele retour 17 éditions, Seghers, paris 1965-1969, P.43

(3) G. Deleuse, Nietszche, PP : 36-.37.

(4) Nietszche, Ainsi parlait Zarathoustra, P :287.